نقول أن **نجيب محفوظ** وحكايته مع الواقعية قد ضمت أدبه كله تقريباً حسبما يؤكد النقاد، ففي البدايات كانت واقعيته التاريخية في كفاح طيبة ثم الواقعية الشعبية في «**زقاق المدق**» ثم الواقعية النفسية في «**السراب**» ثم الواقعية الاجتماعية في «**بداية ونهاية**» ثم الأسطورية في «**أولاد حارتنا**».

والغريب أن الارتباط بالواقع لم يكن حائلاً بين محفوظ وبين إحداث نمط من الابتكارات التقنية في الشكل والأسلوب والصياغات الجديدة التي تناسب تحولات هذا الواقع وتلائمه !!

وربما لم يكن القول بإفراط نجيب محفوظ في تحليل بنية هذا الواقع المصري سياسياً واجتماعياً وثقافياً بشكل أعطى لكتابته طابعاً محلياً، كان وراء دخوله ساحة العالمية ينطوي على كثير من المغالطة والتضليل. لأنه إذا كانت المحلية تعني رصد الواقع السياسي والاجتماعي في تحولاته وتناقضاته وظروفه وكيفية معالجته، فعلى مستوى آخر نجد هذه المحلية قد تتحول دائماً وتلقائياً إلى عالمية إذا انطلقت من الواقع وأطلقت لسان الأديب حتى عبرت عن رؤاه الفلسفية الخلاقة تجاه الإنسان ومصيره وقضاياه وموقفه في هذا الكون وبحثه عن المثل الأعلى الأخلاقي بشكل يحقق الطابع الإنساني المتميز والمنشود أيضاً. أقول أن الواقع المصري كان بحاجة كبيرة إلى نجيب محفوظ لأنه ما من كاتب أو روائي استطاع أن يقتحم هذا الواقع ويشرحه كما فعل هو، فلقد صور أسراره ودقائقه وخلجاته الخفية بشكل يتجاوز حدود الروعة وأفق الإبداع فخلق بين هذا الواقع وبين قارئه المتفحص لأعماله نوعاً من الألفة النفسية والفكرية التي ربما انتهت إلى شيء من الفتنة